

الحجامة وصلتها بالأمراض الروحية
-عرض ونقد-

Hijama and Its Connection to Spiritual Illnesses :
A Presentation and Critique

[10.35781/1637-000-129-004](https://doi.org/10.35781/1637-000-129-004)

الباحث/ أسامة حسن أحمد حسن

الملخص

بالأمراض الروحية، وكذلك الربط بين مواضيع معينة للحجامة وشفاء المرض الروحي، أو الربط بين بعض الحالات التي تصاحب الحجامة وتشخيص المرض الروحي. وأما الخاتمة فاشتملت على أبرز النتائج والتوصيات، منها: بيان شمول هذا الدين العظيم لجميع مصالح العباد الدينية والدنيوية، ومشروعية التداعي وطلبه بالأسباب المشروعة دون غلو في الأسباب ولا جفاء، وبيان مكانة الحجامة في السنة النبوية، ومنزلتها المهمة في التداعي، وأهمية التفريق بين الأمراض الروحية والأمراض النفسية، وعدم ثبوت دليل على صلة الحجامة بالأمراض الروحية اتصالاً أساسياً وأولياً. الكلمات المفتاحية: الحجامة، الأمراض، الروحية.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه، وبعد :
فهذا بحث علمي بعنوان: (الحجامة وصلتها بالأمراض الروحية - عرض ونقد)، يهدف إلى دراسة ونقد دعاوى وجود صلة أولية وأساسية للحجامة بالأمراض الروحية، سواء في جانب التشخيص، أو التداعي منها، وفق منهج وصفي وتقديرية. والبحث مكون من تمهيد وستة مباحث:
أما التمهيد فهو في بيان عقيدة أهل السنة في الداء والدواء والتداعي، وبيان خطورة المخالفات في باب الاعتقاد.
وأما المباحث الستة فكانت في تعريف الحجامة، ومكانتها في السنة، ولمحة في التفريق بين الأمراض الروحية والنفسية، وصلة الحجامة بالأمراض الروحية، وصلة لون الدم الخارج

Hijama and Its Connection to Spiritual Illnesses : A Presentation and Critique

Osama Hassan Ahmed Hassan

Abstract

All praise is due to Allah, and may peace and blessings be upon the Messenger of Allah, his family, and his companions. To proceed:

This is a scholarly research titled: "Cupping Therapy and Its Relation to Spiritual Illnesses – A Review and Critique." The aim of this study is to examine and critically evaluate the claims of a primary and fundamental connection between cupping therapy and spiritual illnesses, whether in diagnosis or treatment, using a descriptive and analytical methodology.

The research is composed of an introduction and six main sections:

- The introduction outlines the creed of Ahl al-Sunnah (mainstream Sunni Islam) regarding illness, medicine, and seeking treatment, while highlighting the dangers of deviating from correct belief in this regard.

- The six sections cover:

1. The definition of cupping therapy.

2. Its status in the Prophetic Sunnah.

3. A brief discussion on differentiating between spiritual and psychological illnesses.

4. The claimed connection between cupping and spiritual diseases.

5. The claimed connection between the color of the extracted blood and spiritual illnesses.

6. The correlation between specific cupping points and healing from spiritual illness, as well as the interpretation of certain reactions during cupping as indicators of diagnosis.

The conclusion includes the most prominent findings and recommendations, such as affirming that Islam encompasses all aspects of human well-being—both religious and worldly—, emphasizing the legitimacy of seeking treatment through permissible means without exaggeration or negligence, explaining the noble status of cupping in the Sunnah and its important role in healing, the necessity of distinguishing between spiritual and psychological illnesses, and the absence of conclusive evidence proving a fundamental or primary link between cupping therapy and spiritual diseases.

Keywords: Cupping therapy, spiritual illnesses.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل لكل داء دواء، وشرع لعباده أسباب التداعي والاستشفاء، وأنعم عليهم بالصحة والعافية وجزيل النعماء، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله الذي اصطفاه، وشرفه بأكمل دين وأعظم شريعة وجعله خير الأنبياء، وعلى آله النبلاء، وصحبه النجباء، ومن سار على نهجهم وتبع سنتهم إلى يوم تُبدل الأرض والسماء.

أما بعد :

فلما كانت الأمراض الروحية كثيرة الانتشار في أوساط المجتمعات، فمن المقبول شرعاً وعقلاً أن يسعى الناس في سبل الوقاية أو التداعي منها، ومن أشهر تلك الطرق المستخدمة في علاج الأمراض الروحية -لا سيما عند الرقاة- التداعي بالحجامة، واعتمادها وسيلة لتشخيص المرض الروحي، فرأيت أن أساهم بهذا البحث في هذا الموضوع ببيان حقيقة الصلة بين الأمراض الروحية والحجامة، وجعلت عنوانه: (الحجامة وصلتها بالأمراض الروحية - عرض ونقد)، ويهدف البحث إلى دراسة ونقد دعاوى وجود صلة أولية وأساسية للحجامة بالأمراض الروحية، سواء في جانب التشخيص، أو التداعي منها.

سائلاً المولى -جل وعلا- التوفيق والسداد، والهدى والرشاد، والله ولي التوفيق.

أهمية الموضوع:

1. تعلق الموضوع باباب الاعتقاد ، وهو أعظم أبواب الدين.
2. تعلقه بحاجة الناس الماسة للتداوي ، وهو أمر لا يستغنون عنه.
3. تعلق الموضوع بالجانب الدعوي والإرشادي للمجتمعات المسلمة.

أسباب اختيار الموضوع:

1. حاجة الناس الماسة إلى التداوي والعلاج لا سيما مع انتشار الأمراض الروحية.
2. الخلط عند كثير من الناس بين الأمراض الروحية والنفسية والعصبية مما يوقعهم في المخالفات العقيدية عند التداوي.
3. المساهمة في إرشاد المجتمع المسلم والتحذير من الوقوع في المخالفات العقيدية ، وهو باب من أبواب الدعوة إلى الله تعالى.
4. استغلال أهل الباطل لحاجة الناس للتداوي في نشر باطلهم والاعتقادات المخالفة يؤكد أهمية بيان الحق في هذا الباب.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تباين واضطراب مواقف الناس تجاه التداوي بالحجامة ، واعتقاد صلتها بالأمراض الروحية ، إذ إن هناك حاجة ماسة للتداوي على الدوام ، وانعكاس ذلك على سبل تعاملهم مع التداوي بالحجامة ، وما يقع فيه بعضهم من أخطاء ومخالفات ، فتنحتاج إلى البيان والتوضيح المؤصل في ضوء الكتاب والسنة ، بهدف الوصول إلى تجنب الفرد والمجتمع المسلم آثارها.

أسئلة البحث:

1. كيف تتعامل العقيدة الإسلامية مع باب التداوي العلاج؟
2. ما المراد بالأمراض الروحية ، وما الفرق بينها وبين الأمراض النفسية؟
3. ما هي صلة الحجامة بالأمراض الروحية؟

الدراسات السابقة:

لم أقف -حسب اطلاعي- على بحث أو مؤلف يدرس صلة الحجامة بالأمراض الروحية.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى تمهيد وستة مباحث وخاتمة.

التمهيد: مقدمات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة أهل السنة في الداء والدواء والتداوي.

المطلب الثاني: خطورة المخالفات في باب الاعتقاد.

المبحث الأول: تعريف الحجامة ومكانتها في السنة النبوية.

المبحث الثاني: التفريق بين الأمراض الروحية والنفسية والعصبية.

المبحث الثالث: صلة الحجامة بالأمراض الروحية.

المبحث الرابع: اعتقاد أن لون الدم وصفته علامة على مرض روحي.

المبحث الخامس: تعيين مواضع معينة في الجسم للحجامة لاعتقاد كمون الجن فيها.

المبحث السادس: الربط بين الاستحضار في الحجامة ونوع معين من الأمراض.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العلمية: وهي على النحو التالي:

أ. فهرس المراجع والمصادر.

ب. فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سرت في البحث وفق المنهج الوصفي والتقديري ، وفقا للطريقة التالية:

1. عزو الآيات القرآنية التي ترد في البحث إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية ، مع الالتزام بالرسم العثماني.
 2. تخريج الأحاديث إلى كتب السنة ، ونقلت حكم العلماء على الحديث ، إلا إذا كان الحديث في "الصحيحين" أو أحدهما فأكتفي بتخريجه لصحة الأحاديث فيهما.
 3. تخريج الآثار إلى مظانها.
 4. توثيق النصوص المنقولة من المصادر والمراجع ، وفي حالة التصرف في النص المنقول أشير إلى ذلك ، مراعيًا قواعد البحث العلمي المتداولة.
 5. ترجمة الأعلام غير المشهورين بإيجاز.
 6. تعريف المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة.
 7. الالتزام بعلامات الترقيم ، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
 8. التعريف بمصادر البحث ومراجعته في آخر البحث.
 9. وضع فهرس لمصادر البحث وموضوعاته يعينان على الاستفادة من البحث.
- ختاماً أسأل الله أن يرزقني العلم النافع والعمل الصالح وأن يوفقني ويسددني وجميع المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مقدمات: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة أهل السنة في الداء والدواء والتداوي.

المطلب الثاني: خطورة المخالفات في باب الاعتقاد.

المطلب الأول

عقيدة أهل السنة في الداء والدواء والتداوي

من نقائص الحياة الدنيا وكدرها ما قدره الله تعالى فيها من الأمراض والأدواء والأسقام المختلفة على عباده التي لا يسلم منها إنسان، حتى الأنبياء أصابهم من المرض ما أصابهم، وهو -كسائر المكار- سنة ربانية للابتلاء والامتحان، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥].

وقد يكون تقدير المرض على العبد لتقصيره في حق الله؛ فيكون تكفيراً لسيئاته، وقد يكون ابتلاء للصالحين من العباد؛ فيكون رفعة في درجاتهم ومنزلتهم.

ولما كان الله تعالى متصفاً بصفة الحكمة فإن أفعال الله تعالى كلها لحكمة عظيمة، قد نعلم منها جانباً، وقد تخفى علينا، ومن أفعاله تقدير المرض فإن فيه حكماً عديدة، منها رفعة الدرجات، وتكفير السيئات، ومنها ظهور قدرة الله تعالى، وبيان ضعف العباد وفقرهم، وفيه تذكير للغافل وتذكير للناسي، وغير ذلك كثير.

ومع ذلك فإن العبد مأمور بسؤال الله العافية والاستعاذة من المرض، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء"⁽¹⁾، وعن أنس -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، ومن سيئ الأسقام"⁽²⁾، وعنه -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثل الفرخ⁽³⁾، فقال

(1) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من جهد البلاء (75/8) حديث رقم (6347)، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (2080/4) حديث رقم (2707).

(2) مسند أحمد (309/20) حديث رقم (13004)، وسنن أبي داود، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب في الاستعاذة (93/2) حديث رقم (1554)، وسنن النسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجنون (270/8) حديث رقم (5493)، والحاكم في المستدرک (712/1) حديث رقم (1944)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(3) قد خفت مثل الفرخ أي ضعف، ينظر: شرح النووي على مسلم (13/17).

له رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟" قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "سبحان الله لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار"(4).

ولما كانت عقيدة أهل السنة والجماعة هي الحق المأخوذ من الوحي المطهر؛ فإنها في باب العلاج والتداوي من الأمراض تتطلق من منطلق الحفاظ على الدين والنفس والعقل والنسل، وهي من الضروريات الخمس الأساسية التي جاءت الشرائع بالحفاظ عليها وحمايتها وتتميتها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥]، أي لا توردوا أنفسكم الهلاك، والتهلكة كل ما تكون عاقبته إلى الهلاك، وقيل ما يمكن الاحتراز عنه(5)، فهذا نهى عن إيذاء النفس وإلحاقها إلى التهلكة بأي طريقة من طرائق التهلكة، وقال - صلى الله عليه وسلم-: "لا ضرر ولا ضرار"(6).

بل أمرت السنة النبوية الشريفة بالتداوي، كما في حديث أسامة بن شريك - رضي الله عنه- قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوي؟ فقال: "تداووا فإن الله تعالى لم يضع داءً، إلا وضع له دواء، غير داءٍ واحدٍ الهرم"(7).

وأبرز معالم العقيدة في الطب والتداوي ما يلي:

أولاً: الإيمان بالقضاء والقدر: قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأنعام: ١٧].

(4) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا (4/ 2068) حديث رقم (2688).

(5) ينظر: تفسير البغوي (1/ 215).

(6) مسند أحمد (55/5) حديث رقم (2865)، وسنن ابن ماجه (2/ 784)، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره حديث رقم (2341).

(7) مسند أحمد (394/30) حديث رقم (18454)، وسنن أبي داود (3/4)، كتاب الطب، باب الرجل يتداوى حديث رقم (3855)، وسنن الترمذي (38/4)، أبواب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، حديث رقم (2038)، وسنن ابن ماجه (2/ 1137)، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء، حديث رقم (3436)، وصححه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (4/ 441)، ووافقه الذهبي.

ثانياً: وجوب الصبر: قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، وأعلى من مرتبة الصبر الرضا.

ثالثاً: أن لكل داءٍ دواء، ولكل مرض شفاء: إلا أنه قد يعلمه الناس وقد يجهلونه، قال -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله لم يُنزل داءً، أو لم يخلق داءً إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله إلا السام، قالوا: يا رسول الله، وما السام؟ قال: الموت"⁽⁸⁾.

رابعاً: مشروعية الوقاية والحماية من الأمراض وأهلها، والتحصن بالأذكار والأوراد الشرعية الثابتة في السنة، واتخاذ الأسباب المشروعة للوقاية من الأسقام.

خامساً: مشروعية التداعي: وقد دلّ الكتاب والسنة الصحيحة على أنواع من الأدوية النافعة: كالغسل والحجامة والحبّة السوداء.

سادساً: اعتقاد أن بعض الأمراض والأوبئة تكون بسبب ارتكاب مخالفة شرعية: وهذا يقود الفرد والمجتمع إلى الاهتمام للعلاج الصحيح الذي يبدأ بالتوبة، ومعالجة الانحرافات العقدية والعملية والسلوكية؛ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على أيدي أصحاب المنكرات والمخالفات. إذا علم هذا فإن من أعظم الأسباب الدافعة للمرض التداعي، وقد دلت النصوص على مشروعيتها، لمن اعتمد على الله وعلم أنه هو الشافي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء: ٨]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"⁽⁹⁾.

والمداواة العلاج، ودواؤه أي عالجه⁽¹⁰⁾.

وقد جاء في كتاب الله تعالى مشروعية التداعي، كما ورد أن الغسل شفاء للناس، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٦٩]، وجاء في السنة قوله -صلى الله عليه وسلم-

(8) مسند أحمد (50/6) حديث رقم (3578)، والمستدرک علی الصحیحین للحاکم (445/4) حديث رقم (8220)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (207/4) حديث رقم (1650).

(9) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداعي (1729/4) حديث رقم (2204).

(10) المعجم الوسيط (2/ 620).

: "تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا داء واحد الهرم"⁽¹¹⁾، وفي رواية: "علمه من علمه وجهله من جهله"⁽¹²⁾، ويُفهم من هذه الجملة من الحديث فتح الباب أمام أهل الخبرة بالطب للاختراع والابتكار في إيجاد الأدوية والعلاجات النافعة للأدواء المختلفة.

كما أنه من الأصول في باب التداوي قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا من السام" قلت: وما السام؟ قال: "الموت"⁽¹³⁾.

وجاء في السنة بيان أنواع من الأدوية كما في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إن كان في شيء من أدويتكم - أو: يكون في شيء من أدويتكم - خير، ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي"⁽¹⁴⁾.

كما أن الدعاء والأذكار الصحيحة والرقى الشرعية ثبت بالشرع أنها أسباب معنوية روحية أكثر نفعاً وأكبر فائدة في التداوي ودفع المرض ورفع، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٢]، وقد كان من دعائه -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم رب الناس أذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً"⁽¹⁵⁾، وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات"⁽¹⁶⁾.

إذا تقرر هذا فإنه يتبين أنه من الخطأ العظيم إغفال المصدر الشرعي للتداوي عند مدارس فنون التداوي وصور العلاج عند المختصين بالطب والدارسين له في الكليات الحديثة، والجهات المختصة، والاعتماد فقط على التجربة أو كلام السابقين من أهل الشأن؛ فالشرع سابق لهذا كله ومقدم عليه، فضلاً عن أن الشرع حوى من الأدوية ما هو أعظم نفعاً وأكثر فائدة مما يجهله الطب التجريبي.

وتعاطي الأسباب كالتداوي بالأدوية المعنوية أو الحسية لتوقى المرض أو دفعه لا ينافي العقيدة

(11) تقدم تخريجه.

(12) مسند أحمد (50/6) حديث رقم (3578)، وصححه الحاكم في المستدرک (441/4) ووافقه الذهبي.

(13) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحبة السوداء (124/7) حديث رقم (5687)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء (1735/4) حديث رقم (2215).

(14) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب التداوي بالعدل (123/7) حديث رقم (5683)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (1729/4) حديث رقم (2205).

(15) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي -صلى الله عليه وسلم- (133/7) حديث رقم (5743).

(16) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث (1723/4) حديث رقم (2192).

الصحيحة، بل ثبت في نصوص الوحي -وهو مصدر التلقي في عقيدة أهل السنة- ما يدل على مشروعية تعاطي الأسباب.

والأسباب جمع سبب، وهو ما يتوصل به إلى غيره، أو يتوصل به لنيل المطلوب⁽¹⁷⁾، سواء كان ذلك المطلوب من أمور الدنيا أو الآخرة.

ومن الباطل إنكار البعض تعاطي أسباب التوقي من الأمراض ومسبباتها، أو التداوي بما ثبت مشروعيته بحجة منافاة ذلك للتوكل، ووجه ذلك منافاة هذا المعتقد لما ثبت في النصوص من مشروعية التداوي، والأخذ بالأسباب المشروعة، قال القرطبي⁽¹⁸⁾ -رحمه الله-: "فالداء والدواء خلقه، والشفاء والهالك فعله، وربط الأسباب بالمسببات حكمته وحكمه على ما سبق به علمه، فكل ذلك بقدر لا معدل عنه ولا وزر"⁽¹⁹⁾، وقال ابن القيم -رحمه الله- معلقاً على أحاديث التداوي: "فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها"⁽²⁰⁾.

ولا ينال في تعاطي الأسباب الإيمان بالقدر؛ ومن الباطل الاحتجاج بالقدر على أن التداوي لا ينفع لرفع المقدور؛ لأن في ذلك مخالفة لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي كان يتخذ الأسباب، بل مضادة لأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- باتخاذ الأسباب التي تقي المرض كما قال: "الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه"⁽²¹⁾.

فترك ما أمر الله به من الأسباب قد يصل حكمه إلى الكفر إذا كان عن جحود وتكذيب للنصوص، فالعبد مأمور بأن يمثل أمر ربه، ويتوكل عليه معتقداً أن الأمر كله بمشيئة الله.

وبالمقابل لا يجوز الاعتماد المطلق على الأسباب والغفلة عن مسببها سبحانه، بل ذلك يقدح في التوحيد؛ إذ أنه نوع من أنواع الشرك بالله تعالى، فيكون أصغرًا مع اعتقاد أن النفع والضرر بيد الله،

(17) ينظر: التعريفات (ص: 117)، مختار الصحاح (ص: 140).

(18) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري، المالكي، الفقيه، المحدث، ولد بقرطبة سنة 578هـ، وكان يعرف في بلاده بابن المزين، كان بارعاً في الفقه والعربية، وعارفاً بالحديث، من تصانيفه -رحمه الله- تعالى المفهم في شرح مسلم ومنها اختصاره للصحيحين، توفي -رحمه الله- تعالى بالإسكندرية رابع ذي القعدة سنة 656هـ. ينظر: البداية والنهاية (247/13)، ونفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (615/2).

(19) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (592/5).

(20) زاد المعاد في هدي خير العباد (13/4).

(21) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (175/4) حديث رقم (3473)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (1737/4) حديث رقم (2218).

أو أكبراً باعتقاد أن السبب يستقل بالنفع والضرر، قال المناوي⁽²²⁾ -رحمه الله-: "وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليها جهالة فاحشة وسوء اعتقاد؟ ومن اعتقد أن غير الله ينفع أو يضر استقلالاً فقد أشرك"⁽²³⁾.

والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها، ولا يقع شيء إلا بمشيئته وإذنه سبحانه، فيتعاطى العبد الأسباب المشروعة مع اعتقاده أن المسبب هو الله سبحانه وتعالى، وأنها يحصل بها المطلوب بتقدير الله تعالى، وأنه إن شاء تخلف المسبب؛ فالعبد إذا هيا الأسباب وتعاطاها يقطع الاعتماد عليها، وإنما يعتمد على مسببها -جل وعلا-.

والخلاصة أن "الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع"⁽²⁴⁾.

وجواز الأخذ بالأسباب لا يعني أن الباب مفتوح على مصراعيه، بل هو مقيد بالأسباب المشروعة، فلا يجوز تعاطي الأسباب غير المشروعة إذ لم تثبت شرعاً ولا بالتجربة الصحيحة -فيما طريقه التجربة- أنها أسباب لرفع المرض أو التوقي منه، كالسحر، والرقى الشركية، والتعاويذ البدعية، ولبس التمام، والاستغاثة بأهل القبور، أو التبرك بترابها ونحو ذلك من المخالفات العقدية.

فكما أن من فساد المعتقد الطعن في الأسباب المشروعة، فإن من الضلال جعل كل ما يُتوهم نفعه سبباً⁽²⁵⁾، بل هو شرك بالله تعالى؛ إذ جعل الشيء سبباً وهو غير كذلك مشاركة لله تعالى في حكمه ومشيئته، فمن شرط صحة تعاطي السبب أن يكون ثابتاً شرعاً أو قدراً، بعيداً عن الابتداء والأوهام.

(22) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ولد بالقاهرة سنة 952هـ، كان عالماً متفناً كثير التصانيف، ومن أشهر تصانيفه: كنوز الحقائق في الحديث، والتيسير في شرح الجامع الصغير، وفيض القدير، وشرح الشمائل للترمذي، توفي بالقاهرة سنة 1031هـ. ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (193/2) وفيه مبالغات وغلو، والأعلام للزركلي (204/6).

(23) فيض القدير (294/4).

(24) مجموع الفتاوى (70/8).

(25) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (234/2).

المطلب الثاني

خطورة المخالفات في باب الاعتقاد

الانحراف في باب العقيدة شأنه خطير، والمخالفة في ذلك من الخلاف المحرم المفضي إلى ترتب الإثم ووقوع التفرق، والخطأ الذي يمس حمى العقيدة وجناب التوحيد أعظم الأخطاء، فالمخالفة في باب الاعتقاد ليست كمخالفة في غيره؛ فالمخالفة في هذا الباب قد تنقض إيمان المرء بالكلية، أو تنقص وتقبح فيه، وما يبين خطورة المخالفات والانحرافات العقدية ما يلي:

أولاً: الوقوع في الكفر أو الشرك بالله تعالى: وهذا أكبر الذنوب وأخطر الأمور على دين العبد وحياته وآخرته، دل على ذلك قول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة: ٧٢].

ثانياً: عدم قبول الأعمال من صاحبها والخسارة في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧]، أي المخلصين لله تعالى العاملين وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم⁽²⁶⁾، وفي الآية حصر يخرج من كان على خلاف هذا الوصف، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥]، وفي الآيتين دليل بين على أن مخالفة الاعتقاد الصحيح سبب لحبوط العمل وبطلانه.

ثالثاً: حرمان الجنة والخلود في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة: ٧٢]، أي: أن من وقع في الشرك بالله -وهو من أعظم المخالفات العقدية- فجزاؤه الخلود في النار.

(26) ينظر: تفسير السعدي (ص: 228).

رابعاً: الخلل في الاستقامة والسلوك وفساد القيم والأخلاق: فمخالفة الاعتقاد السليم تظهر آثاره في الانحراف السلوكي قوياً وعملاً، ظاهراً وباطناً، وفي جانب العبادات والمعاملات، وفي جانب الأوامر والنواهي، وغير ذلك من الأمور.

خامساً: الاضطراب وعدم الطمأنينة والسكينة: فيعيش صاحب المعتقد الفاسد في اضطراب نفسي، وقلق دائم، وخوف من الأقدار، وخشية من المستقبل، ويحزن لفوات شيء ولو يسير من الدنيا، ويتعلق بالمخلوقين ويخشاهم، ونتيجة لهذا الضياع وفقدانه الهوية يصبح عرضة لكل فكر منحرف، أو مذهب هدام، أو عقيدة كفرية.

سادساً: انتشار الجريمة والرذيلة في المجتمعات: وذلك لغياب الوازع الديني أو ضعفه؛ وأعظم ما يؤثر على ذلك قوة وضعفاً هو المعتقد، فإن صحَّ المعتقد قوي وازع الدين، وإن فسد ضعف الوازع أو انعدم.

سابعاً: ظهور البدع والمخالفات: وهي من أخطر عواقب المخالفات العقدية؛ وقد تبلغ البدعة حد الكفر والخروج بصاحبها من الملة، إضافة إلى أن البدع تشوه الدين، وتطمس معالم السنة، وتسبب الفتنة، وهي سبب لحرمان صاحبها من التوبة، ورد عمله.

ثامناً: التطرف بالغلو أو التفریط: فالمخالفات العقدية تجر صاحبها إما إلى التفریط والتهاون والتضييع، كما يحصل من آثار مقالة الإرجاء، وإما أن تأخذه إلى النقيض حيث الغلو والزيادة المذمومة في الاعتقاد أو العمل، وهو من أسباب الهلاك، وكلا الأمرين يتضمن الاعتراض على الله تعالى في تشريعه وحكمه، كما يتضمن تكذيب النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فالتطرف معاند ومشاقق لله ولرسوله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا غاية الانحراف؛ إذ أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل زيادة ولا نقصاً.

تاسعاً: التفرق وظهور الفرق والأحزاب: إذ أن الانحرافات العقدية أكبر عامل في حصول الفرقة، ونشأة الأحزاب والفرق والمنحرفة، وكل ما كان أهل العصر على معتقد صحيح انعدمت أو قلت البدع فيهم جداً، والعكس بالعكس.

عاشراً: تأخر زمن التمكين وحصول الهزائم والانتكاسات في هذه الأمة: ومن المقرر أن أعظم سبب للتمكين هو العقيدة الصحيحة الصافية، يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ

ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ [سورة النور: ٥٥].⁽²⁷⁾

إلى غير هذه المفاصد والآثار الخطيرة على الفرد أو المجتمع.

ولا يعني وقوع هذه المخالفات من فئة من المسلمين، أو حتى أكثرهم - لا قدر الله -؛ أن يحصل اليأس، أو يُفهم أن الأمة هلكت كلها؛ فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر والتثبيت، والظهور على الحق إلى قيام الساعة، وأخبر رسوله - صلى الله عليه وسلم - بأن طائفة من الأمة تثبت على الدين، قال - صلى الله عليه وسلم - : "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس"⁽²⁸⁾، وهذا من فضل الله تعالى ورحمته بعباده.

(27) ينظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص: 86)، ومجموع الفتاوى (17/1) (135/10) (257/10)، والعقيدة الواسطية (ص: 129)، وتفسير السعدي (ص: 409).

(28) تقدم تخريجه.

المبحث الأول

تعريف الحجامة ومكانتها في السنة النبوية

تعريف الحجامة لغة:

أصل الحِجَم المص، وقيل للحاجم حجام لامتصاصه فم الحجمة، يقال: حِجَم الصبي ثدي أمه إذا مصه، وثدي محجوم أي ممصوص.

والاسم (الحجامة) بالكسر، و(المحجم) بالكسر أو (المحجمة) قارورته: وهي الآلة التي يجتمع فيها دم الحجامة عند المص، والمحجم أيضا مشروط الحجام.⁽²⁹⁾

تعريف الحجامة اصطلاحا:

معنى الحجامة في الاصطلاح ليس بعيداً عن المعنى اللغوي، وهي أوضح من أن تُعرف لشهرتها عند عامة الناس.

ويمكن أن يقال في تعريفها: نوعٌ من الجراحة التي تحجم موضع الداء، ثم تستخرج دماً يكون فيه سبب الداء، أو فيه إنتان يؤدي بهدّد حياة الإنسان، أو تخفّف من وطأة الدم وهيجانه؛ مما يريح القلب والكبد والكلّى والرئتين وكل خلايا الجسم، مع تنشيط مراكز الطاقة في الإنسان، فهي تحجم الدم في الكمّ والكيف المناسب واللائق بالصحة؛ مما يقتضي استخراجه.⁽³⁰⁾

والحجامة معروفة مشهورة منذ قديم الزمان، وهي من سبل التداوي المشتهرة بين المجتمعات في زماننا على اختلاف مللها وأديانها، فضلاً عما ثبت في شرعنا الحنيف أنها من طرق التداوي النافعة، والمفيدة.

ولا شك أنه مع تطور الزمان فقد تطورت كذلك الحجامة من حيث الآلات المستعملة فيها، ومن حيث تدابير السلامة وغير ذلك، كما أن الحجامة متنوعة في أشكالها، فمنها ما يصاحبه فصد، ومنها ما هو جاف من غير إخراج للدم، مما هو مبسوط في مظانه.⁽³¹⁾

وقد ثبت في الحجامة أحاديث نبوية تدل على أنها علاج وشفاء من الأمراض، وهذا أحد معالم شمولية هذا الدين، وعظمتها، وكمال هذه الشريعة وتماها.

وقد تعددت هذه الأحاديث واشتهرت بين الناس، إلا أن منها ما لا يصح إسناده إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لذا سأشير في هذا الموضع لبعض ما صح وثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-

(29) ينظر: تهذيب اللغة (4/99)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (1/347)، ومختار الصحاح (ص: 67).

(30) ينظر: أسرار العلاج بالحجامة والقصص لمحمد عزت عارف (ص: 35).

(31) ينظر: القانون في الطب لابن سينا، والطب النبوي لابن القيم، والحجامة أحكامها وفوائدها كما جاءت في الأحاديث والآثار الصحيحة لإبراهيم عبد الله الحازمي، وإبلاغ الفهامة بفوائد الحجامة لعبد الحميد العربي.

وفيه غنية وكفاية عن غيره مما لم يثبت.

فمن الأحاديث في الحجامة: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كيّة بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي"⁽³²⁾.

وعن أنس -رضي الله عنه- أنه سئل عن أجر الحجامة، فقال: احتجم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-... وقال: "إن أمثل ما تداويتم به الحجامة، والقسط البحري"⁽³³⁾.

وقد احتجم النبي -صلى الله عليه وسلم-، فعن ابن بحنة -رضي الله عنه- قال: "احتجم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو محرم بلحي جمل في وسط رأسه"⁽³⁴⁾، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- "احتجم ثلاثاً في الأخدعين، وبين الكتفين"⁽³⁵⁾، وعن جابر: "أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- احتجم على وركه، من وء"⁽³⁶⁾ كان به"⁽³⁷⁾، وعن أنس -رضي الله عنه- "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- احتجم وهو محرم على ظهر القدم من وجع كان به"⁽³⁸⁾.

والأخدعان: عرقان في طرفي العنق، والكاهل ما بين الكتفين وهو أول الظهر.⁽³⁹⁾

(32) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب: الشفاء في ثلاث (123/7) حديث رقم (5681)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (1729/4) حديث رقم (2205).

(33) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحجامة من الداء (125/7) حديث رقم (5696)، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب حل أجرة الحجامة (1204/3) حديث رقم (1577).

(34) صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب الحجامة للمحرم (15/3) حديث رقم (1836)، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب جواز الحجامة للمحرم (862/2) حديث رقم (1203).

(35) مسند أحمد (78/5) حديث رقم (2904)، وسنن أبي داود، كتاب الطب، باب في موضع الحجامة (4/4) حديث رقم (3860)، وسنن الترمذي، أبواب الطب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في الحجامة (390/4) حديث رقم (2051)، وسنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب موضع الحجامة (1152/2) حديث رقم (3483).

(36) الوء هو توجع في العظم دون أن يبلغ الكسر. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (80/1)، ولسان العرب (190/1)، وعون المعبود وحاشية ابن القيم (245/10).

(37) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب متى تستحب الحجامة (5/4) حديث رقم (3863)، وصححه الألباني.

(38) مسند أحمد (113/20) حديث رقم (12682)، وسنن أبي داود، كتاب المناسك، باب المحرم يحتجم (168/2) حديث رقم (1837)، وسنن النسائي، كتاب مناسك الحج، حجمة المحرم على ظهر القدم (194/5) حديث رقم (2849) وصححه الألباني ومحققوا المسند.

(39) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (14/2)، وعون المعبود وحاشية ابن القيم (243/10)، ومقاييس اللغة (267/4)، ولسان العرب (66/8).

وغيرها ذلك من الأحاديث التي تدل دلالة واضحة على مشروعية الحجامة، وأنها دواء من الأدوية النافعة.

وقد توسع العلماء -رحمهم الله- وشرح السنة في توضيح وبيان معاني هذه الأحاديث، واستطردوا في بيان منافع الحجامة، وطريقاتها، ومواضعها، وأوقاتها، وغير ذلك مما يتعلق بالحجامة علماً وتأصيلاً؛ الأمر الذي يُظهر مكانة الحجامة في السنة النبوية.

وأيضاً اجتهد العلماء والمختصون -لا سيما المعاصرين- في تفصيل فوائد الحجامة، وعلاجها للأمراض المختلفة، وبيان المحذورات التي يجب تجنبها عند الحجامة، وما يناسبه الحجامة من الأمراض وما لا تناسبه، إلى غير ذلك من التفاصيل الموثقة في مظانها.

المبحث الثاني

التفريق بين الأمراض الروحية والنفسية والعصبية

تختلف أنواع الأمراض التي تصيب الناس، وتتنوع في أعراضها ومسبباتها، فمنها عضوية، ومنها نفسية، ومنها روحية، والتمييز بين هذه الأنواع ضروري لمعرفة نوع العلاج وطريقته، وإلا حصل فساد وضرر على المرضى.

ويخلط كثير من الناس خاصة بين الأمراض الروحية من جهة، والأمراض النفسية من جهة أخرى، بما فيهم بعض المعالجين، نتج عن هذا الخلط فساد عظيم، وتقويت فرصة العلاج على الكثيرين من المرضى بسبب التشخيص الخاطئ.

ومما يُنبه له أن الشرع قد بين بعض مسببات الأمراض، من ذلك مثلاً قوله - صلى الله عليه وسلم -: "الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء"⁽⁴⁰⁾، والحديث يُحمل على ظاهره في أرجح أقوال أهل العلم⁽⁴¹⁾، وهذا لا يعارض وجود أسباب حسية للحمى، فلا يجوز لطبيب أن ينكر الأسباب التي جاءت في النصوص، كما لا يُنكر طالب علم مثلاً الأسباب الحسية.

وكذلك مرض الصرع كمثال أيضاً، فقد جاء في الشرع أن الجن سبب فيه⁽⁴²⁾، كما أن له أسباب حسية أخرى معلومة عند الأطباء، ولا تناقض بين الأمرين، ولا يجوز نفي أحدهما وإنكاره.

والشاهد أن الشرع مرجع أصيل ويقيني في بيان بعض أنواع مسببات الأمراض.

إذا تقرر هذا فإن المقصود بالمرض الروحي: المرض الذي يكون سببه بعض الأنفس الخبيثة من الجن والشياطين والإنس، كالسحر والمسّ والعين والحسد.⁽⁴³⁾

وعلى هذا لا يشكل على هذه التسمية اعتراض من يقول بأنه لا دليل على أن الروح تمرض؛ إذ أن النسبة في هذه الأمراض ليست للروح المعهودة، بل هي نسبة للأرواح الخبيثة المتسببة في هذه الأمراض وهو من شرها وتأثيرها.⁽⁴⁴⁾

(40) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة (120/4) حديث رقم (3261)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداءي (1731/4) حديث رقم (2209).

(41) ينظر: فتح الباري (175/10).

(42) ينظر: تفسير الطبري (8/6)، وتفسير القرطبي (355/3).

(43) ينظر: مجموع الفتاوى (507/17)، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (404/1)، وزاد المعاد في هدي خير العباد (179/4).

(44) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (40/4، 66، 69).

ومن المتقرر ثبوت تأثير الشيطان وتسببه في الأمراض العضوية والروحية، كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة بنت حبيش وكانت تُستحاض: "فإنما ذلك ركضة من الشيطان"⁽⁴⁵⁾، كما يُستدل بعموم قوله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الشيطان يحضر أحدهم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه"⁽⁴⁶⁾، فهو دليل على أن الشيطان يكون متسبباً في حصول المرض، وقد يدخل أحياناً بعد الإصابة وإن لم يكن متسبباً في الأصل، كمرض الوسواس القهري مثلاً قد يحصل بسبب عضوي، لكن قد يدخل الشيطان بعد ذلك.

وقد ثبت أيضاً في النصوص تأثير السحر والعين، والاستعاذة من الحسد، كما ثبت فيها قدرة الشيطان على إلحاق الضرر بالإنسان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخَجُّهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَيْمَنِ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق: ١ - ٥]، وقال - صلى الله عليه وسلم -: "خمروا الآنية، وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب واكفتوا صبيانكم عند العشاء، فإن للجن انتشاراً وخطفة"⁽⁴⁷⁾.

فإنكار المرض الروحي بأنواعه من الضلال المبين؛ إذ أنه نوع من تكذيب النصوص، ومخالفة لإجماع الأمة⁽⁴⁸⁾، فضلاً عن أنه تكذيب للواقع المحسوس والمشاهد، فلا عبرة بأقوال المنكرين؛ إذ هي مدفوعة بالنصوص المتكاثرة وإجماع الأئمة.

وأما المرض النفسي هو ما يصيب النفس، ويطلق عليه في المراجع الحديثة (الاضطراب النفسي)، وتعريفه أنه: "متلازمة سريرية مقدرة مصحوبة بأعراض نفسية وسلوكية مسببة انزعاجاً واختلالاً في الأداء الوظيفي"⁽⁴⁹⁾، فهو إذاً: "اضطراب وظيفي في الشخصية، نفسي المنشأ، يبدو في صورة أعراض نفسية وجسمية مختلفة، ويؤثر في سلوك الشخص؛ فيعوق توافقه النفسي، ويعوقه عن ممارسة حياته

(45) مسند أحمد (602/45) حديث رقم (27631)، وسنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب من قال إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة (76/1) حديث رقم (287)، وسنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب في المستحاضة أنها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد (221/1) حديث رقم (128)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(46) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أدنى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها (1607/3) حديث رقم (2033).

(47) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم (129/4) حديث رقم (3316).

(48) ينظر: تفسير القرطبي (226/9)، والمعلم بفوائد مسلم (158/3).

(49) الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية الطبعة الرابعة (ص: 11).

السوية في المجتمع الذي يعيش فيه⁽⁵⁰⁾.

ويقابله عند الأطباء المرض العضوي الذي يصيب البدن، وإن كان كل منهما يؤثر على اضطراب الآخر، فما يصيب البدن يؤثر على النفس، والعكس صحيح⁽⁵¹⁾، ومن أمثلته: القلق، والاكتئاب، وانفصام الشخصية، واضطرابات الأكل والسلوك.

والمرض النفسي يُطلب علاجه عند المختصين كما هو الحال في المرض العضوي، ويُعالج بالأدوية الحسية، ويمكن الاستئناس لذلك بما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في التلبينة⁽⁵²⁾، قال -صلى الله عليه وسلم-: "التلبينة مُجَمَّةٌ لِفَوَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزَنِ"⁽⁵³⁾، قال النووي -رحمه الله-: "أي تريح فؤاده وتزيل عنه الهم وتنشطه"⁽⁵⁴⁾، فيما أن التلبينة تساعد في تحسين المزاج وإذهاب الحزن؛ فهي داخلة في علاج أنواع من المرض النفسي التي يكون سببها قلق النفس واضطرابها.

والفرق بين الروح والنفس فيه كلام كثير لأهل العلم، -وإن كان كل منهما يطلق على الآخر-، إلا أن التفريق الذي يناسب المقام: أن المراد بالروح ما به حياة البدن، وأما النفس هي الإرادة التي تكون في الإنسان، أو أن المراد بالنفس ما يكون به التمييز، والتي تزول بزوال العقل، وتأمّر صاحبها وتتهاه⁽⁵⁵⁾، إلا أن المعتمد في تعريف المرض النفسي هو التعريف الطبي⁽⁵⁶⁾.

وهذا يقود إلى التنبيه إلى أن النفس -التي بمعنى الإرادة في الإنسان- يصيبها الخلل، والاضطرابات التي تصيبها تعد نوعاً من الأمراض، وهي قابلة للعلاج والشفاء، وليست جنوناً، كما أن كثيراً منها له أسباب عضوية، وقد يصيب المرض النفسي العبد الصالح، كما يبتلى به العبد الطالح؛ فلا تستلزم العار، بل شأنها شأن الأمراض العضوية.

(50) الصحة النفسية والعلاج النفسي لحامد زهران (ص: 9).

(51) ينظر: الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين لنجاتي (ص: 87).

(52) هي حساء من دقيق أو نخالة الشعير يُخلط باللبن، وجاء أنه يُحلى بالعسل. ينظر: شرح النووي على مسلم (202/14)، وفتح الباري لابن حجر (147/10).

(53) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التلبينة (75/7) حديث رقم (5417)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب التلبينة مجمعة لفؤاد المريض (1736/4) حديث رقم (2216).

(54) شرح النووي على مسلم (202/14)، وينظر: فتح الباري لابن حجر (146/10).

(55) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس (561/16)، ولسان العرب (233/6)، وشرح العقيدة السفارنية لابن عثيمين.

(56) ينظر: الأحكام الفقهية للأمراض النفسية وطرق علاجه د. أنس ابن عوف (ص: 49).

وقد تتشابه جداً أعراض الأمراض الروحية والنفسية على عامة الناس؛ فلا يفرقون بينها، خاصة في حال اجتماع إصابة المريض بمرض روحي وآخر نفسي في آن واحد، إلّا أنه ثمت فوارق تؤكد أنه يوجد فرق بين الأمراض الروحية والنفسية، سأجتهد في ذكر بعضها حسب ما وقفت عليه من توصيف النوعين، ومن تلك الفوارق:

1. الأمراض النفسية يؤمن بها الأطباء عموماً، ويعرفونها، بينما الأمراض الروحية لا يؤمن بها منهم إلا أهل الإيمان بالغيب والوحي الإلهي.
2. الأمراض النفسية لها عوامل متعددة، منها وراثية، ومنها اجتماعية، ومنها اقتصادية، وثقافية، وجسمية، وهي ناتجة عن تغيرات عضوية ووظيفية معينة في الجهاز العصبي، بينما الأمراض الروحية لا تؤثر هذه العوامل بها، ولا تحدث نتيجة خلل وظيفي في الجسم، وإنما تنتج عن كيد وظلم من الأنفس الخبيثة للجن والإنس، ولا يعني ذلك ألّا يتبع أو يصاحب المرض الروحي خلل وظيفي.
3. الأمراض النفسية تختلف في كثير من أعراضها عن الأمراض الروحية، فمن أعراض المرض النفسي: القلق الزائد عن الحد المعتاد، أو الاكتئاب الدائم، والتخيلات غير الواقعية، وغير ذلك، وأما المرض الروحي فمن أعراضه: وجود ألم دون معرفة سببه طبياً، أو تغير طارئ في حياة المريض دون سبب معروف، ككراهية البيت، أو الزوجة، أو ترك الطاعات، ومن أبرزها التأثير الشديد وغير المعتاد بالرقية، وغير ذلك، كما أن أعراض المرض النفسي مستقرة ومضطردة في الغالب، بينما أعراض المرض الروحي بخلاف ذلك، فهي غير مستقرة، ومتفاوتة، ومتباينة من مريض لآخر.
4. أعراض المرض النفسي متفقة ومتناسقة باختلاف المرضى، بينما تختلف الأعراض من مريض لآخر في الأمراض الروحية، ومتذبذبة حتى في المريض الواحد من فترة لأخرى.
5. الأمراض النفسية يتم علاجها عبر الطب الحديث والمختصين، ويتم كشفها بالتحاليل الطبية، فهي محسوسة، بينما الأمراض الروحية لا يستطيع كشفها وتشخيصها الطب الحديث فضلاً عن معالجتها.

هذا وغيره مما يجعل التمييز بين النوعين أمر يمكن إدراكه لا سيما لأهل الاختصاص، حتى في حالة الأعراض المتشابهة كالأرق والوسواس، فإن المختص يميز بين العرضين بالنظر إلى مسببات هذا العرض، ففي المرض النفسي يكون السبب نفسي محض، وفي الروحي يكون السبب عين أو سحر ونحو ذلك.

ومما يُنبّه له هنا: أنه لا تعارض بين العلاج الطبي النفسي المحسوس والرقية الشرعية، فلا يوجد ما يمنع من التداوي بالرقية الشرعية من الأمراض النفسية، فهي علاج لها كما أنها علاج للأمراض الروحية، كما أنه لا مانع في بعض الحالات من انتفاع المريض الروحي بالعلاج الطبي، كالعلاج الكهربائي للأمراض العصبية والنفسية، فقد ينفع في العلاج من المرض الذي يسببه الجن، وهذا يحتاج

لخبرة ومعرفة؛ لا سيما أنّ المرض النفسي قد يكون نتيجة للروحي، والعكس كذلك.

والشاهد أنه ينبغي أن يُجمع حينئذ بين الدواء والرقية، ومما يدل على ذلك عموم الأدلة الدالة على مشروعية التداوي.

ومن الخطأ إنكار علاقة الطب الحديث بعلاج الأمراض النفسية، واللجوء في مداوتها بتدابير غير صحيحة كربط المريض وتقييده بالسلاسل، أو الذهاب به للدجالين والمشعوذين، أو التعويذات الشركية، وما شاكلها من الممارسات المحرمة والممنوعة، كما أنه من الخطأ إنكار وجود الأمراض الروحية أو إنكار أثر الرقية الشرعية ونفعها في معالجة الأمراض النفسية.

فيجب التنبيه للفرق بين النوعين -الأمراض الروحية والنفسية-، والرجوع إلى الموثوقين في دينهم وخبرتهم في المجالين، وعدم الانجرار وراء الشائع والرائج عند الناس، والوقوع في براثن العادات والتقاليد السالبة.

المبحث الثالث

صلة الحجامة بالأمراض الروحية

ثبت في الحجامة أحاديث نبوية تدل على أنها علاج وشفاء من الأمراض، من ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: "الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي"⁽⁵⁷⁾، وعن أنس -رضي الله عنه- أنه سئل عن أجر الحجامة، فقال: احتجم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-... وقال: "إن أمثل ما تداويتم به الحجامة، والقسط البحري"⁽⁵⁸⁾، وغيرها من الأحاديث التي تدل دلالة واضحة على مشروعية الحجامة، وأنها دواء من الأدوية، كما تقدم.

والحجامة علاج معروف منذ القدم، فكما أن من صنف في الطب النبوي يذكرها من ضمن أنواع التداوي، كذلك لم تخل مصنفات الطب التجريبي من ذكرها وبيان نفعها.

والمراد هنا بيان صلتها بالأمراض الروحية؛ إذ أن من الرقاة من يعتمد الحجامة وسيلة مستقلة ويقينية ولازمة لتشخيص الأمراض الروحية وعلاجها، بل بعضهم يذهب إلى أبعد من ذلك معتقداً أن الحجامة قاتلة للجن.

وهذا ما لم يدل عليه دليل صحيح من الشرع أو التجربة، وهذا لا يناه في ما تقدم تقريره من أن الحجامة شفاء ودواء، لكن المقصود هو نقد كون الحجامة وسيلة إلزامية وعلامة قطعية للاستدلال على وجود المرض الروحي أو للعلاج منه.

ولم ينقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا عن صحابته رضوان الله عليهم، ولا عن أحد من السلف -حسب ما وقفت عليه- التصنيف على استخدام الحجامة لعلاج المس أو السحر أو العين.

ولا حجة للمستدلين بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم"⁽⁵⁹⁾، من أوجه، منها:

أولاً: الحديث معناه محمول على الوسوسة والإغواء، وتشبيهه لشدة ملاصقته للإنسان، وتأثيره عليه، وإن كان من العلماء من حمل الحديث على ظاهره⁽⁶⁰⁾، لكن سياق الحديث يؤيد المعنى الأول.

(57) تقدم تخريجه قريباً.

(58) تقدم تخريجه قريباً.

(59) صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (50/3) حديث رقم (2038)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليذفع ظن السوء به (1712/4) حديث رقم (2174).

(60) ينظر: شرح النووي على مسلم (157/14)، وفتح الباري لابن حجر (280/4).

ثانياً: ليس في الحديث ذكر لمسألة التداوي من تلبس الشيطان، وإنما بيان لجريانه من الإنسان مجرى الدم، لا أنه هو الدم نفسه، فالاستدلال به في غير محله.

ثالثاً: من المعلوم أن الحجامة لا تخرج الدم كله، فلا يصح الاستدلال بالحديث على أنها تُخرج الجن، فلا ضمان لخروج الجن مع الدم الذي خرج بالحجامة.

رابعاً: الظاهر أن الحجامة لا تصل إلى أعماق الجسد، ولا إلى الأعضاء الداخلية، فلا يصح حينئذ الجزم بخروج الجن بالحجامة مع الدم الذي يخرج بها؛ إذ هو سطحي.

خامساً: من أهل العلم من ذهب إلى أن الحجامة إنما يتداوى بها من الأمراض المتعلقة بغلبة الدم وتأثره، وليست هي عامة في كل الأدوية، فالعموم في الأحاديث مخصوص بهذا المعنى⁽⁶¹⁾، وعلى هذا المعنى فالحجامة لا تدخل في التداوي من المس أو السحر أو العين ونحوه من الأمراض الروحية.

سادساً: مع كثرة الأحاديث الواردة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الرقية، ومع أنه -صلى الله عليه وسلم- أرشد إلى التداوي بالحجامة أيضاً، لم يرد عنه -صلى الله عليه وسلم- أن أرشد إلى الرقية بالحجامة، أو استعمالها مع الرقية.

وأما ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- تعالى وتعليقه لاحتجام النبي -صلى الله عليه وسلم- من السحر، فقد بناه على أثر رواه أبو عبيد القاسم بن سلام -رحمه الله-: "أنه احتجم على رأسه بقرن حين طب"، أي سَجَر⁽⁶²⁾، إلا أن الحديث لا يصح والله أعلم، فلم أجده في كتب الحديث، ولم يستدل به أحد من أهل العلم مع أنه نص في الباب لو كان صحيحاً، وإنما جاء أن النبي -صلى الله عليه وسلم- احتجم في رأسه من صداع كان به، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "احتجم وهو محرم في رأسه من داء كان به"⁽⁶³⁾، وجاء مفسراً في رواية أحمد: "من صداع كان به، أو شيء كان به"⁽⁶⁴⁾.

كما أن ابن القيم -رحمه الله- أورد جواباً على الاستدلال به، وهو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يحتجم قبل أن يعرف أنه مسحور لشهرة التداوي بالحجامة، فلما أوحى إليه بمرضه "عدل إلى العلاج الحقيقي وهو استخراج السحر وإبطاله، فسأل الله سبحانه فدلّه على مكانه،

(61) ينظر: الطب النبوي لابن القيم (ص: 46)، وعون المعبود وحاشية ابن القيم (10/244).

(62) غريب الحديث للقاسم بن سلام (43/2).

(63) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب المحرم يحتجم (167/2) حديث رقم (1836).

(64) مسند أحمد (185/4) حديث رقم (2355).

فاستخرجه"⁽⁶⁵⁾، وحينئذ فلا شاهد فيه على أن الحجامة دواء من السحر، بل النبي -صلى الله عليه وسلم- عدل عنها لما علم بأنه أصيب بالسحر، ويؤيده أيضاً ما تقدم من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يرشد إلى الحجامة للتداوي من السحر.

وكذلك الأمر في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إن أمثل ما تداويتم به الحجامة، والقسط البحري"⁽⁶⁶⁾، ومثله قوله -صلى الله عليه وسلم-: "الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كيّة بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي"⁽⁶⁷⁾، فإن الحديثين فيهما دلالة عامة على جواز الانتفاع بالحجامة في التداوي، سواء كان من الأمراض الروحية أو العضوية، لكن ليس فيهما التنصيص على أن الحجامة مرتبطة بالأمراض الروحية كما يعتقد البعض، فكما أن القسط الهندي، والكيّ، وشرب العسل، لا يمكن الجزم بأن هذه الأدوية مرتبطة بالأمراض الروحية فكذلك الحجامة، وأيضاً بالمقابل لا يمكن ربط هذه الأدوية بعلاج مرض عضوي بعينه استناداً على عموم الحديث، فضلاً عما تقدم ذكره قريباً من أن من أهل العلم من ذهب إلى أن الحجامة إنما يتداوى بها من الأمراض المتعلقة بغلبة الدم وتأثيره، وليست هي عامة في كل الأدوية.

وهنا يُنبه -مرة أخرى- إلى أن ما ذكر لا يعني إنكار استعمال الحجامة في علاج الأمراض الروحية مع الرقية الشرعية، فهي نوع من التداوي المشروع، وقد تفيد لا سيما إذا وافقت الحجامة موضع السحر، أو كانت سبباً في استقراغ مادته، لكن أن تُجعل أمراً لازماً وضرورياً مع كل رقية، وأنها قاتلة وطاردة للجن، أو أنها علامة قاطعة على وجود مرض روحي فهذا من الإحداث والزيادة غير المشروعة.

(65) الطب النبوي لابن القيم (ص: 93، 94).

(66) تقدم تخريجه قريباً.

(67) تقدم تخريجه قريباً.

المبحث الرابع

اعتقاد أن لون الدم وصفته علامة على مرض روحي

من الاعتقادات الخاطئة عند ممارسي الحجامة والرقية الشرعية أيضاً الاعتماد على لون الدم الخارج بالحجامة، وشكله؛ فيرتبون على ذلك أنواعاً من التشخيصات، وهو ما لم يدل عليه دليل شرعي، ولا يستند إلى مستند علمي طبي.

وهذا الأمر أبعد وأنكر من جعل علاقة بين الحجامة والأمراض الروحية، وقد تبين في المبحث السابق بناء على ما تقرر عدم التلازم بين الحجامة والأمراض الروحية، فمن باب أولى عدم صحة تشخيص المرض الروحي بناء على لون أو شكل الدم الخارج بسبب الحجامة.

كما أن خروج الدم أسوداً ليس علامة على إصابة بمرض روحي ولا حتى عضوي في الغالب، فإن ذلك قد يحدث بسبب عملية إخراج الدم بكأس الحجامة الذي يحجب الأوكسجين عن الدم الخارج في الدقائق التي يبقى فيها على كأس الحجامة، كما أن هذا السبب هو الذي يجعل الدم يتجلط ويصبح متخثراً ويكون على هيئة قطع متفرقة، وهذه علامة أخرى يعتمد عليها بعض الرقاة على وجود مرض روحي بالمريض.

ومن العلامات التي يعتمد عليها بعض الرقاة كذلك، خروج رغوّة مع دم الحجامة، فهي عندهم علامة على وجود مرض روحي، وهذا أيضاً لا مستند له؛ فقد يكون سبب ذلك زيادة في الأوكسجين في دم المتحجم، أو بسبب تسرب هواء في كأس الحجامة، وقد يكون ذلك بسبب سحب الدم بقوة وشدة، فتخرج الرغوّة مع الدم المسحوب، كما أن من الأسباب أحياناً خروج إفرازات من الجلد بسبب بقاء كأس الحجامة عليه لفترة طويلة.

وهذه الأسباب المذكورة هي اجتهادات لبعض الأطباء، وقد أجرى بعضهم عليها بحثاً علمية⁽⁶⁸⁾، وسواء ثبتت أو قيل بغيرها، لا يصح جعل تلك العلامات من لون الدم أو شكله دلالة على مرض روحي؛ لعدم وجود دليل شرعي على ذلك، ولعدم ثبوت ذلك بالتجربة الصحيحة، وكثير من الرقاة أيضاً ينفون وجود علاقة بين دم الحجامة والمرض الروحي، ولم يثبت عندهم وجود صلة بينهما، فهي ليست محل اتفاق عند الرقاة.

وإذا قُدر وجود حالة أو حالات توافق فيها تغير لون الدم أو شكله مع وجود مرض روحي، فهذا لا يكفي للقول بوجود علاقة وثيقة، وأن يطرد ذلك على جميع الحالات والأشخاص.

ويستند كثير من القائلين بارتباط لون دم الحجامة بالمرض الروحي على أن الحجامة تخرج الدم

(68) ينظر: الموسوعة العلمية في الحجامة والإبر الصينية من منظور العلم الحديث (ص: 113 - 125).

الفاسد من الجسم، وهذا لا أساس له علمي صحيح، فلم يثبت شرعاً ولا طبياً وجود دم فاسد بالجسم، وإلا فوجوده دليل على تسمم في دم الشخص، وهذا مرض خطير يحتاج إلى تدخل طبي، ولا تكفي فيه الحجامة، إلا إذا كان المقصود بالدم الفاسد ما يفسره بعض الأطباء أنه الدم الذي يشتمل على كمية كبيرة من خلايا الدم الحمراء التالفة، وهذا يؤثر على طبيعة جريان الدم في العروق، ووصوله لأعضاء الجسم⁽⁶⁹⁾، فتكون تسميته فاسداً هو من قبيل الاصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح حينئذ، وبالتالي لا علاقة ولا صلة لهذا المصطلح بالمرض الروحي، بل تكون الحجامة حينئذ نوع من العلاج الطبي الحسي للأمراض العضوية.

ويُنْبَه إلى أن الدم الذي يخرج قد يفسد، وذلك بسبب تلوث الآلة التي فصد بها الجسم، أو تلوث أدوات الحجامة، لكن هذا الفساد حصل للدم بعد خروجه من الجسد، ولم يخرج منه فاسداً.

ومن الآثار غير الحميدة لانتشار مثل هذه المعتقدات بين الناس انتشار الخوف والهلع، وفتح الباب أمام الدجالين والمشعوذين وأصحاب المطامع الشخصية باستغلال حاجة الناس للعلاج، ونشر باطلهم وخرافتهم، ونهب أموالهم، مما يفتح الباب أمام الطاعنين في دين الإسلام بنسبة تلك الخرافات له زوراً وبهتاناً.

المبحث الخامس

اعتقاد مواضع معينة في الجسم للحجامة لكمون الجن فيها

ثبت في السنة الصحيحة احتجام النبي -صلى الله عليه وسلم- في مواضع من جسده الطاهر، فلا شك حينئذ أن هذه المواضع أنفع وأكمل للحجامة والتداوي بها، وهذه المواضع هي: الرأس، والأخدعان، والكاهل، والورك، وظهر القدم.

فعن ابن بحنة -رضي الله عنه- قال: "احتجم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو محرم بلحي جمل في وسط رأسه"⁽⁷⁰⁾، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- "احتجم ثلاثاً في الأخدعين، وبين الكتفين"⁽⁷¹⁾، وعن جابر: "أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- احتجم على وركه، من وثن كان به"⁽⁷²⁾، وعن أنس -رضي الله عنه- "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- احتجم

(69) ينظر: الحجامة في ضوء الحديث النبوي والممارسة الطبية للدكتور: يحيى بن ناصر خواجي (ص: 25، 26).

(70) تقدم تخريجه قريباً.

(71) تقدم تخريجه قريباً.

(72) تقدم تخريجه قريباً.

وهو محرم على ظهر القدم من وجع كان به⁽⁷³⁾.

والأخدعان: عرقان في طرقي العنق، والكاهل ما بين الكتفين وهو أول الظهر.

وشمت مواضع أخرى ذكرها بعض أهل العلم⁽⁷⁴⁾، ويذكرها بعض أهل الاختصاص والمعرفة بالطب.

ويذهب بعض الرقاة من القائلين بالصلة بين الحجامة والأمراض الروحية إلى تخصيص مواضع في الجسم يحتجم فيها المسوس أو المسحور؛ زعمًا منهم بأن الجن يكمن في هذه المواطن من جسم الإنسان.

وهذا لا دليل عليه، ولا مستند له من الشرع أو التجربة الصحيحة، بل الأساس الذي بُني عليه - وهو العلاقة بين الحجامة والتداوي من الأمراض الروحية - لم يثبت، فضلاً عن أن الحجامة لا تصل إلى أعماق الجسم، ولا دليل على أن الجن يكمن في سطح الجسم، أو غيره من الأماكن، فهذا أمر غيبي، وكيفيته مجهولة، ولم يصح دليل في هذا الأمر.

كما أن بعض الرقاة يبنون ذلك على اعتقاد أن العين إذا أصابت الجسد يكون لها جرماً أو حيزاً في الجسم، وهذا أيضاً لا دليل عليه، ويبطله أيضاً أن العين قد يظهر أثرها بكسر أو مرض ونحوه، فيعالج الأثر، ولا يُعتقد أن جرم العين قد ذهب، أو هو في هذا العضو المصاب، ونحو ذلك.

ولا يُنكر أن تستخدم الحجامة علاجاً لبعض آثار السحر، أو العين، وغيرهما من الأمراض الروحية، إلا أنه لا يُسلم أن الحجامة تعالج المرض الروحي قطعاً بحيث تخرجه من مكان معين، ونحو ذلك من الدعاوى المنتشرة.

فالواجب على المسلم الاقتصار على ما ورد في الشرع في هذه الأمور التي علمها مبني على الوحي؛ وتجنب الغلو في اتخاذ الأسباب إلى حد يوقعه في اتخاذ ما ليس بسبب سبباً، وقد تقدم أن هذا أمر منهى عنه؛ لأنه من الشرك الأصغر.

(73) تقدم تخريجه قريباً.

(74) ينظر: مثلاً زاد المعاد في هدي خير العباد (53/4).

المطلب السادس

الربط بين الاستحضار في الحجامة ونوع معين من الأمراض

مما يعتقد بعض الرقاة أيضاً مما يرتبط باعتقاد صلة الحجامة بالمرض الروحي أن المريض إذا احتجم فاستحضر فهذا دليل على إصابته بمرض روحي.

والمراد بالاستحضار هنا: تأثر المريض وتخبطه ونحو ذلك من التصرفات التي تصدر من بعض المرضى تأثراً بالجن المتلبس به.

وهذا فهم خاطئ، واعتقاد لا يصح، فهذا لا يشترط حتى في رقية المريض بقراءة القرآن على المريض، ولا دليل على الربط بين الرقية والاستحضار وتأثر المريض، فعدم تأثر المريض بالرقية فيما يظهر للراقي ليس دليلاً قاطعاً على عدم وجود مرض، فمن باب أولى عدم ارتباط الأمرين في الحجامة التي صلتها بالمرض الروحي غير ثابتة من الأساس.

كما أن المريض بسبب الحجامة قد تصيبه رعشة أو اضطراب أو إغماء بسبب خروج الدم، أو انخفاض ضغط الدم أو السكر عنده ونحو ذلك من الأمراض التي قد تختلط آثارها وعلاماتها بما يسميه الناس الاستحضار، فيبني على ذلك الراقي أو المريض أنه مصاب بمرض روحي، ويجعل ذلك أمراً يقينياً بسبب ذلك.

فالاستدلال بتأثر المريض بالحجامة، بسبب ما قد يصيب بعض المرضى من إغماء، وضعف وخمول، على إصابتهم بمرض روحي، هذا لا يصح بحال أن يكون دليلاً قاطعاً؛ إذ أن هذه الأعراض وما شابهها تحدث عادة لبعض المرضى بسبب فقد الدم، أو هبوط السكر ونحو ذلك، لا سيما إن كان المريض ممتنعاً عن الأكل قبل الحجامة، وهذا هو الغالب، وأحياناً بسبب الخوف من الحجامة، أو لحالة نفسية تتسبب فيها رائحة الدم أو النظر إليه، فلا يصح الجزم بأن هذه العلامات دليل على إصابة المريض بسحر أو عين ونحوه، كما أن بعض الرقاة -ممن يعتقد الصلة بين الحجامة والأمراض الروحية- أثناء ممارسته حجامة المريض يخاطبه ويسأله عما يشعر به، ويُهَوِّل في كلامه وإيحاءاته: حتى يضطرب المريض خوفاً وقلقاً، وتظهر عليه ملامح تأثر، وفي الحقيقة سبب ذلك هو الخوف من كلامه، أو لاعتقاد المريض أنه مريض بمرض روحي والحجامة تبطل ذلك، فإذا تحجم قوي هذا الوهم عنده حتى حصل من الاضطراب بسبب توهمه، لا بسبب أصل الحجامة.

وهذا الربط بين الأمرين فتح الباب أمام من يجيد التحايل والتمثيل، فيأتي ببعض الحركات والتصرفات ونحو ذلك مما يصدر عن بعض المرضى، وفي الحقيقة هو غير مريض ولا مصاب؛ ليوهم غيره بأنه مريض، كما أنه فتح الباب أمام بعض الدجالين والمشعوذين لاستغلال بعض تصرفات المرضى بأنها نوع من الإصابات الروحية التي تحتاج إلى العلاج على يده، دون أن يكون المريض مصاباً بمرض روحي من الأصل.

فالواجب تجنب الغلو في هذا الباب والحذر من اتباع نزغات الشيطان وخطواته، والحرص على الاقتصار على المشروع واتباع الدليل، لا سيما أن المسألة لها تعلق بالغيب.

الخاتمة

بتوفيق الله تعالى وصل البحث إلى نهايته، لا إلى نهاية الغاية والمراد، وقطعاً لم أستوف المطلوب، ولا بد من قصور وخلل احتواه البحث، فالكمال لله الواحد الأحد، وفيما يلي أعرض لأهم وأبرز نتائج البحث والتوصيات.

نتائج البحث:

أهم ما توصلت إليه من نتائج ما يأتي:

1. شمول هذا الدين العظيم لجميع مصالح العباد الدينية والدنيوية.
2. مشروعية التداوي وطلبه بالأسباب المشروعة دون غلو في الأسباب ولا جفاء.
3. بيان مكانة الحجامة في السنة النبوية، ومنزلتها المهمة في التداوي.
4. أهمية التفريق بين الأمراض الروحية والأمراض النفسية.
5. عدم ثبوت دليل على صلة الحجامة بالأمراض الروحية اتصالاً أساسياً وأولياً.
6. عدم ثبوت صلة للون دم الحجامة، أو مواضعها في الجسم، أو ما يصاحبها من أعراض، بالمرض الروحي كعلامة قطعية لا تتخلف.

التوصيات:

1. نشر المعتقد الصحيح بين الناس، والحرص على تعليمه للطلاب والناشئة.
2. مزيد عناية بالبحث في مسألة صلة الحجامة بالأمراض الروحية، وكذلك النفسية.
3. فرض رقابة علمية وقانونية على مدعي الطب البديل، والمتخذين له وسيلة لنشر الشعوذة والدجل والمخالفات العقدية، وخداع الناس وأكل أموالهم.

ختاماً: أحمد الله تعالى على ما يسر وأعان، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من تقصير فمن نفسي، واستغفر الله منه، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيداً.

المراجع والمصادر

1. القرآن الكريم.
2. أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية، للدكتور حسن أحمد حسن الفكي، الناشر: مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى 1425هـ.
3. الأحكام الفقهية للأمراض النفسية وطرق علاجه د. أنس ابن عوف، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1437هـ - 2016م.
4. أسرار العلاج بالحجامة والفصد لمحمد عزت عارف، الناشر دار الفضيلة - القاهرة.
5. الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى: 1396هـ، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة 2002م.
6. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة 1419هـ - 1999م.
7. البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، المتوفى: 774، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت.
8. تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
9. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
10. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان أو (تفسير السعدي) لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م.
11. جامع البيان في تأويل القرآن أو (تفسير الطبري) لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى: 310هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
12. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه أو (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.

13. الجامع لأحكام القرآن أو (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر: دار الشعب، القاهرة.
14. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو (الداء والدواء) لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى: 751هـ، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
15. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: 1111هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت.
16. الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين لنجاتي، الناشر: دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى 1414هـ - 1993م.
17. الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية - الطبعة الرابعة.
18. زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى: 751هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون 1415هـ / 1994م.
19. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.
20. سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد المتوفى: 273هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
21. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
22. سنن الترمذي أو (الجامع الصحيح) لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ومذيل بأحكام الألباني، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
23. شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى 1426هـ.
24. الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ت393هـ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة 1990.
25. الصحة النفسية والعلاج النفسي لحامد زهران- الناشر: عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الرابعة 1426هـ.

26. الطب النبوي لابن القيم لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار الهلال - بيروت.
27. العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة الثانية 1420هـ / 1999م.
28. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية 1415م.
29. غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، الطبعة الأولى، 1384هـ - 1964م.
30. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379.
31. فيض القدير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى 1356.
32. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المتوفى: 711هـ، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة 1414م.
33. المجتبى من السنن أو (سنن النسائي) لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية 1406 - 1986، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
34. مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المتوفى: 728هـ، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة الثالثة 1426هـ / 2005م.
35. مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة 1420هـ / 1999م.

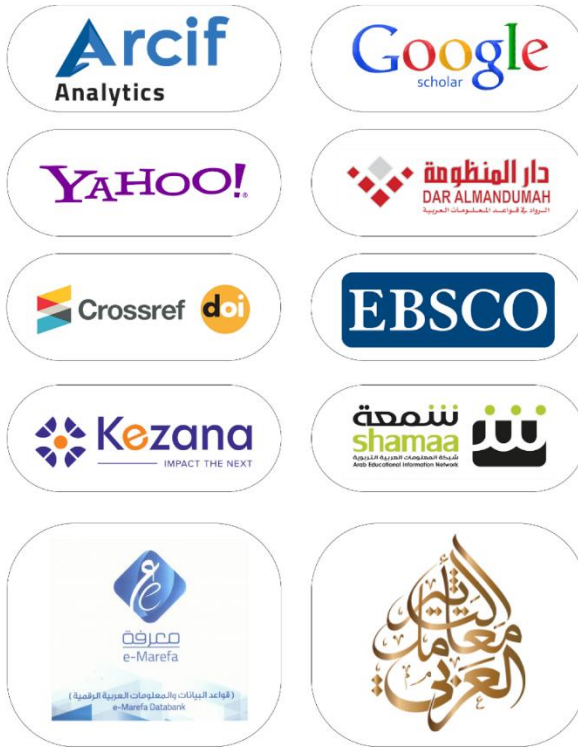
36. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1393هـ - 1973م.
37. المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى 1411هـ - 1990م.
38. مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421هـ - 2001م.
39. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- أو (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
40. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1417هـ - 1997م.
41. معجم التعريفات أو (التعريفات) لعلي بن محمد السيد الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، الناشر: دار الفضيلة، القاهرة.
42. المعجم الوسيط، المؤلفون: إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، الناشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
43. المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي (المتوفى: 536هـ)، تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الناشر: الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر - المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، الطبعة الثانية 1988م.
44. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المتوفى 656هـ، تحقيق: محيي الدين ديب ميسو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.
45. مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى 395هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الجيل، سنة النشر 1420هـ - 1999م، بيروت - لبنان.

46. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم) لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1392م.
47. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (المتوفى: 1041هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان.
48. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة دولية شهرية علمية محكمة
الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي